البعـــد الاجتماعـــي للمصطلحـــات العروضيـــة

(مقاربة بين المصطلح العروضي والبيئة)

د. عمر عتيق-جامعة القدس– فلسطين

ملخـــص:

تسعى الدراسة إلى الكشف عن الجينات الدلالية بين المصطلحات العروضية وعناصر البيئة الصحراوية البدوية من جهة، وهيئه الأعرابي من جهة أخرى. وتتوسل الدراسة بالبنية المعجمية للمصطلح العروضي بهدف إظهار المرجعية البيئية والاجتماعية والإنسانية للمصطلح العروضي.

يشكل الترابط بين المصطلح والبيئة علاقة عضوية، إذ إن المصطلح هو ابن البيئة بمستوياتها المادية والثقافية، فالمصطلح ليس قالبا لفظيا خاليا من منظومة معرفية أو ثقافية منتزعة من البيئة التي يُستخدم فيها المصطلح، ولا يخفى أن المصطلح الذي لا ينتمي إلى بيئته ماديا وثقافيا هو مصطلح دخيل يشكل تحديا لأنصار التعريب. ولعل المصطلحات العروضية من أكثر مصطلحات العلوم اللغوية العربية ارتباطا بالبيئة العربية وبخاصة البيئة البدوية ، فالتأمل في العلاقة بين المعنى الاصطلاحي والمعنى اللغوي للمصطلح العروضي يفضي إلى تشكيل لوحة نابضة بالحياة البدوية من حيث العلاقة العضوية بين مصلحات بيت الشَّعر ومكونات بيت الشَّعر، وبين المصطلحات العروضية والصفات الخَلقية

للإنسان والحيوان، وتمتد العلاقة العضوية بين المصطلحات العروضية والإنسان لتشمل هيئته الخارجية، إذ إن كثيرا من المصطلحات العروضية مستمد من ثياب الأعرابي.

العلاقة بين مصطلحات بيت الشِّعر ومكونات بيت الشَّعر (الخيمة)

يستمد بيت الشِّعر مصطلحاته العروضية من مكونات بيت الشَّعر (الخيمة)، فبيت الشِّعر يشتمل على حزمة من الأنظمة اللغوية والدلالية والعروضية، كذلك يضم بيت الشَّعر حزمة من الأنظمة الاجتماعية، و((البَيْتُ من أَبيات الشِّعْر سمي بيتاً لأَنه كلامٌ جُمِعَ منظوماً فصار كبَيْتٍ جُمِعَ من شُقَقٍ وكِفاءٍ ورِواقٍ وعُمُد))[1]، ولذلك سَمَّوْا مُقَطَّعاتِه أَسباباً وأَوتاداً على التَّشبيه لها بأَسباب البيوت وأَوتادها[2]. ويمكن رصد العلاقة الدلالية بين المصطلحات العروضية لبيت الشِّعر ومكونات بيت الشَّعر (الخيمة) أو البيت عموما اعتمادا على البنية المعجمية على النحو الآتي:

1 – يتألف بيت الشَّعر (الخيمة) من قسمين (شطرين)، قسم أو شطر للنساء وهو الذي يُسمى في العرف البدوي (المَحْرم)، وقسم أو شطر للرجال وهو (المضافة)، فالشطرُ نِصفُ الشيءِ وجزؤه(تاج العروس: شطر)، كذلك يتألف بيت الشِّعر من شطرين، يسمى الشطر الأول صدرا ، وصدر كل شي أوله أو بدايته، و((الصَّدْر أَعلى مقدَّم كل شيء وأَوَّله حتى إِنهم ليقولون صَدْر النهار والليل وصَدْر الشتاء والصيف))[3]، ويسمى الشطر الثاني عجزا ، وعجز الشيء آخره.

2– لبيت الشَّعر (الخيمة) بابان؛ باب تدخل منه النساء، وآخر يدخل منه الرجال، ولبيت الشِّعر مصراعان يناظران بابي الخيمة، ((فالمِصْراعانِ بابا القصيدة بمنزلة المِصْراعَيْنِ اللذين هما بابا البيت)) [4]. وصَرَّعَ الشِّعرَ والبابَ تَصْرِيعاً : جَعَلَه ذا مِصْراعَيْن، وتَصْرِيعُ الشِّعرِ هو: تَقْفِيَةُ المِصْراعِ الأوّل مَأْخُوذٌ من مِصْراعِ الباب. ويقال صَرَّعَ البابَ إذا جَعَلَ له مِصْراعَيْن [5]. ويؤكد ابن رشيق العلاقة الدلالية بين بابي الخيمة ومصراعي القصيدة بقوله: ((واشتقاق التصريع من مصراعي الباب، ولذلك قيل لنصف البيت مصراع كأنه باب القصيدة ومدخلها))[6] وقد أفضت العلاقة الدلالية بين بابي الخيمة

ومصراعي القصيدة إلى إيجاد مصطلح التصريع وهو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه، تنقص بنقصه، وتزيد بزيادته.

3– تسمى التفعيلة الأخيرة من الشطر الأول عروضا، وهي تقع وسط بيت الشِّعر، وكذلك تسمى الخشبة التي توضع وسط البناء (البيت) عارضة، وقد سمي وسط البيت عَرُوضاً، لأَن العروض وسط البيت من البِناء، والبيتُ من الشعْر مَبنيّ في اللفظ على بناء البيت المسكون للعرب، فَقِوامُ البيت من الكلام عَرُوضُه كما أَنّ قِوامَ البيت من الخِرَقِ العارضةُ التي في وسطه فهي أَقْوَى ما في البيت، فلذلك يجب أَن تكون العروض أَقوى من الضرْب[7] والمقصود بقوة تفعيلة العروض أن العلل العروضية التي تصيب تفعيلة العروض أقل من العلل العروضية التي تصيب تفعيلة الضرب وبخاصة علل النقص، وإذا اقتضى الأمر تمثيلا على أن العروض أقوى من الضرب فإننا ننوه إلى علل النقص في تفعيلة (مستفعلن) في الرجز التي يطرأ عليها الخبن والطي في العروض أما في الضرب فيطرأ عليها الخبن والطي والقطع. واستئناسا بما تقدم فإن قوة تفعيلة العروض في وسط بيت الشِّعر تناظر قوة العارضة في وسط البناء (البيت).

4- تتألف التفعيلة من أسباب وأوتاد، والأسباب في التفعيلة تناظر الأسباب أو الحبال التي تشد الخيمة لتحميها من السقوط، والأوتاد في التفعيلة تناظر الأوتاد التي تُدق في الأرض لتربط بها أسباب أو حبال الخيمة.

والأسباب في التفعيلة نوعان؛ سبب خفيف، وسبب ثقيل، فالخفيف حرفان متحركان، والثقيل متحرك وساكن، وأزعم أن اختلاف الأسباب العروضية من حيث الخفة والثقل يناظر اختلاف الأسباب أو الحبال التي تشد الخيمة من حيث قوة الفتل والتراخي، كما أن السبب في اللغة هو كلُّ شيءٍ يُتَوَصَّلُ به إِلى غيره، وكلُّ شيءٍ يُتَوصّلُ به إِلى الشيءِ فهو سَبَبٌ، نحو الحَبْل الذي يُتَوَصَّل به إِلى الماءِ ثم استُعِير لكلّ ما يُتوصَّل به إِلى شيءٍ [8] وكذلك وظيفة الأسباب العروضية يُتوصل بها للأوتاد، فتفعيلة (فاعلاتن) — مثلا – تبدأ بسبب (فا) يُتوصل به للوتد (علا).

والأَوتادُ في الشعر على ضربين؛ أَحدهما حرفان متحركان والثالث ساكن، نحو «فعو وعلن » وهذا الذي يسميه العروضِيون المقرون، لأَن الحركة قد قرنت الحرفين، والآخر ثلاثة أَحرف متحرك ثم ساكن ثم متحرك وذلك « لات » من مفعولات وهو الذي يسميه العروضيون المفروق، لأَن الحرف قد فرق بين المتحركين(9). ولعل اختلاف الأوتاد العروضية يناظر اختلاف الأوتاد التي تشد حبال الخيمة من حيث قوتها وضعفهـــا.

وعطفا على ما تقدم فإن العلاقة بين الأسباب والأوتاد في التفعيلة تناظر العلاقة بين الأسباب والأوتاد التي تشد الخيمة ، فمن اليسير أن نتصور تفكك التفعيلة إذا حُذفت الأسباب منها، وسقوط بيت الشِّعر إذا انقطعت الحبال (الأسباب) التي تُربط بالأوتـــاد.

وبعد أن رصدنا مرجعية المصطلحات العروضية في بيت الشعِّر، وعلاقاتها الدلالية مع مكونات بيت الشَّعر (الخيمة) يحسن بنا أن ندخل إلى الخيمة العربية لنبحث عن التواصل الدلالي بين المصطلحات العروضية والإنسان الذي يسكن في الخيمة، وبين المصطلحات العروضية والحيوانات التي استأنسها البدوي ، وذلك على النحو الآتي:

أولا: العلاقة بين المصطلح العروضي وأعضاء الجسم

1- المصطلح العروضي والوجه:

مصطلح الخرم من أكثر المصطلحات العروضية صلة بالوجه، نحو حذف فاء فَعُولُنْ في وزن الطويل فتتحول التفعيلة إلى (عولن)، وقد اهتم العروضيون بهذا التغير العروضي وأسهبوا في إطلاق المصطلحات العروضية على التغيرات التي تطرأ على التفعيلة المخرومة، ويحسن بنا أن نرصد مرجعية مصطلح الخرم قبل بيان المصطلحات العروضية الأخرى المتصلة بالتفعيلة المخرومة.

والأصل في الخَرْم هو مصدر خَرَمَ الخَرَزَةَ يَخْرِمُها خَرْماً ،وما خَرَمْتُ منه شيئاً أي ما نقصت وما قطعت، والتَّخَرُّمُ والانْخِرامُ التشقق، وكل قطع يصيب الأذن أو الأنف يسمى خرما، فالخَرْمُ يكون في الأُذن والأنف جميعاً، وهو في الأَنف أَن يُقْطَع مُقَدَّمُ مَنْخِرِ الرجل وأَرْنَبَتِه بعد أَن يُقْطَعَ أَعلاها حتى ينفذ إِلى جوف الأَنف، يقال: رجل أَخْرَم بيِّن الخَرَم، وهو قطع لا يبلغ الجَدْعَ، والنعت أَخْرَمُ وخَرْماءُ، والخَرَمةُ موضع الخَرْمِ من الأَنف، وقيل الذي قطع طرف أَنفه، ورجل أَخْرَمُ الأُذن كأَخرها مثقوبها، والخَرماءُ من الآذان المُتَخَرِّمةُ[10]، فَقطْع مقدم الأنف أو الأذن يناظر حذف مقدم التفعيلة التي أصابها الخرم.

ورصد العروضيون ثلاث تفاعيل يصيبها الخرم وهي فعولن ومفاعيلن، وأطلقوا على كل خرم يصيب هذه التفاعيل مصطلحا خاصا، فإذا وقع الخرم في (فعولن/ عولن)

يسمى أثلما، وإذا أصاب تفعيلة (عولن) المخرومة قبض (عولُ) يسمى أثرما، وذلك تشبيها بالأَثْرَم من الناس؛ فالثَّرَمُ انكِسارُ السِّنِّ من أَصلها، وقيل هو انكِسار سِنٍّ من الأَسْنان المقدَّمة مثل الثَّنايا والرَّباعِيات، وقيل انكِسار الثَّنِيَّة خاصَّة [11]، وبهذا يكون مصطلحا الخرم والثرم في تفعيلة فعولن (عولُ) يناظران قطع مقدم الأنف وثقب الأذن، وانكسار السن.

ولا يخفى أن اجتماع التشوهات الخَلقية الناجمة عن الخرم والثرم اللذين يجسدان وجها مقطوع الأنف أو مثقوب الأذن، أو مكسور السن يسبب نفورا وانقباضا للنفس الإنسانية، وهذا النفور يناظر نفور العروضيين من اجتماع الخرم والثلم في تفعيلة (فعولن) كما نص ابن رشيق بقوله: ((فإذا اجتمع الخرم والقبض على الجزء فذلك هو الثرم، وهو قبيح. وهذان عيبان، تدلك التسمية فيهما على قبحهما؛ لأن الخرم في الأنف، والثرم في الفم، وإنما كانت العرب تأتي به لأن أحدهم يتكلم بالكلام على أنه غير شعر، ثم يرى فيه رأياً فيصرفه إلى جهة الشعر؛ فمن ههنا احتمل لهم وقبح على غيرهـــم)) [12].

وإذا أصاب الخرم والقبض تفعيلة (مفاعيلن/ فاعلن) في بحر الهزج وبحر المضارع يسمى أشترا، والأصل في الشَّتَر هو انقلابٌ في جفن العين من أَعلى وأَسفل وتَشَنُّجُه، وقيل هو أَن ينشَقَّ الجفن حتى ينفصل الحَتَارُ (الأجفان)، وقيل هو استرخاء الجفن الأَسفل. وكأَن البيت قد وقع فيه من ذهاب الميم والياء من تفعيلة (مفاعيلن) ما صار به كالأَشْتَرِ العيْن. والشَّتَرُ كذلك انشقاق الشفة السفلى، يقال: شَفَة شَتْراء[13]، فالتفعيلة التي أصابها الخرم والشتر تناظر الوجه الذي أصابه قطع في الأنف أو ثقب في الأذن وانقلاب وتشنج في جفن العين، أو انشقاق في الشفة السفلى.

والخَرْبُ في الهَزَجِ أن يطرأ على التفعيلة الخَرْمُ والكَفُّ مَعاً فتتحول مَفاعِيلُنْ إلى فاعِيلُ (– – ب) فتنقل إلى (مَفعولُ – – ب)، وسُمي أَخْرَبَ لذهاب أَوَّله وآخِره، فكأَنَّ الخَرابَ لَحِقَه لذلك ، وكلُّ ثَقْبٍ مُستدِير خُرْبَةٌ مثل ثَقْبِ الأُذن وجمعها خُرَبٌ، وقيل هو الثَّقْبُ مُسْتديراً كان أَو غيرَ ذلك، والمَخْرُوبُ المَشْقوقُ، ومنه قيل: رَجُل أَخْرَبُ للمشْقُوقِ الأُذُنِ، وكذلك إِذا كان مَثْقُوبَها فإِذا انْخَرَم بعد الثَّقْبِ فهو أَخْـــرَمُ[14].

والقَصْمُ في العَروض هو تحول مفاعلتن(ب — ب ب –) إلى مفعولن(– – –) في الوافر، وهو تغير مركب من عدد من الزحافات، أولها تسكين الخامس (مفاعلْتن ب – – –)، وتُنقل التفعيلة إلى (مفاعيلن ب – – –)، وثانيها الخرم فتصبح التفعيلة المنقولة (فاعيلن – – –)، وتنقل إلى (مفعولن – – –) [15]، وذلك على التشبيه بقَصْم السن أَو القَرْن، ومنه قيل فلان أَقْصَمُ الثَّنِيَّة إذا كان منكسرها، وقد قَصِمَ وقَصِمَتْ سِنُّه قَصَماً وهي قَصْماء انشقت عَرْضاً، ورجل أَقصمُ الثنية إِذا كان منكسرها مـــن النصـــف[16].

والصلم في العروض هو تحول تفعيلة فاعلاتن إلى فعلن في ضرب المديد ، وهو تحول مكون من سلسلة من التغيرات، أولها حذف (تن) فيبقى من التفعيلة (فاعلا – ب)، وتُنقل إلى (فاعلن — ب –)، ثم تُقطع النون فيبقى من التفعيلة (فاعلُ – ب ب)، ثم

تسكن اللام (فاعلْ – –)، وتُنقل إلى (فعلن – –)[17]. ويناظر قطع التفعيلة مرتين (قطع تن، وقطع النون) قطع الأذن أو الأنف من أصولهما، فصَلَمَ الشيءَ صَلْماً قطعه

من أصله، وقيل الصَّلْمُ قطع الأُذن والأنف من أَصلهما، ورجل مُصَلَّم الأُذنين إذا اقْتُطِعَتا من أُصولهما، ويقال للظَّليم مُصَلَّمُ الأُذنين كأَنه مْسْتَأْصَلُ الأُذنين خِلْقةً، والظَّلِيمُ مُصَلَّم وُصِفَ بذلك لصغر أُذنيه وقِصَرِهِم[18].

وفي مقابل مصطلح الخرم الذي يتصل بدلالة الحذف والنقص يأتي مصطلح الخزم الذي يتصل بالزيادة، فالخَزْمُ في الشعر زيادة حرف في أَول البيت أَو حرفين أَو حروف من حروف المعاني نحو الواو وهل وبل ، قال أَبو إِسحق: إِنما جازت هذه الزيادة في أَوائل الأَبيات كما جاز الخَرْمُ وهو النقصان في أَوائل الأَبيات، وإِنما احْتُمِلَتِ الزيادةُ والنقصانُ في الأَوائل لأَن الوزن إِنما يستبين في السمع، ويظهر عَوارُهُ إِذا ذهبتَ في البيت[19]، وليس الخزم عند العرب بعيب؛ لأن أحدهم إنما يأتي بالحرف زائداً في أول الوزن، إذا سقط لم يفسد المعنى، ولا أخل به ولا بالوزن، وربما جاء بالحرفين والثلاثة، و لم يأتوا بأكثر من أربعة أحرف، ومذهبهم في الخزم أنه إذا كان البيت يتعلق بما بعده وصلوه بتلك الزيادة بحروف العطف التي تعطف الاسم على الاسم والفعل على الفعل والجملة على الجملة[20]، والخزم في الشعر يناظر الخِزامَةُ وهي بُرَةٌ أو حَلَقَةٌ تجعل في أَحد جانبَيْ مَنْخِرَي البعير، وقيل هي حَلقةٌ من شَعَرٍ تجعل في وَتَرَةِ أَنفه يُشَدُّ بها الزِّمامُ[21] ويؤكد ابن رشيق العلاقة بين المصطلح العروضي والمعنى اللغوي بقوله: ((وأخذ الخزم من خزامة الناقة)) [22].

والعَضْبُ أَن يكونَ البيتُ من الوَافِر أَخرمَ [23] فإذا خُرمت تفعيلة مفاعلتن (فاعلتن – ب ب –) فتنقل إلى مفتعلن (– ب ب –) [24]، ويناظر العَضْبُ القطعَ في اللغة؛ نقول: عَضَبَه يَعْضِبُه عَضْباً قَطَعه، وتدعو العربُ على الرجل فتقول ما له عَضَبَه اللّهُ؟ يَدْعونَ عليه بقَطْعِ يده ورجله. وناقة عَضْباءُ مَشْقُوقة الأُذُن، وكذلك الشاة، وجَملٌ أَعْضَبُ كذلك، والعَضْباءُ من آذانِ الخَيْل التي يُجاوز القَطْعُ رُبْعَها، وشاة عَضْباءُ

مكسورة القَرْن، والذَّكر أَعْضَبُ، وقد يكون العَضَبُ في الأُذن أَيضاً، فأَما المعروف ففي القَرْن وهو فيه أَكثر [25].

2- المصطلح العروضي والرأس:

يسمى حذف رأس الوتد من تفعيلة (فاعلاتن/ فالاتن) في بحر الخفيف تشعيثا، والأَشْعَثُ هو الوَتِدُ وهي صِفةٌ غالبةٌ غلَبَةَ الاسْمِ؛ وسُمِّيَ به لتَشَعُّثِ رأْسِه بالدَّقِّ[26]، وتقترب دلالة حذف رأس الوتد من دلالة تشعيث الرأس، نقول: تَشَعَّثَ تَلَبَّد شعَرُه واغْبَرَّ، والشَّعِثُ المُغْبرُّ الرأْسِ المُنْتَتِفُ الشَّعَرِ الحافُّ الذي لم يَدَّهِنْ [27].

ويطلق العروضيون مصطلح الموفور على كل جزء يجوز فيه الزحاف فيسلم منه. والموفور ما جاز أَن يخرم فلم يخرم وهو فعولن ومفاعلين ومفاعلتن وإِن كان فيها زحاف غير الخرم لم تخلُ من أَن تكون موفورة، وإِنما سميت موفورة لأَن أَوتادها توفرت. والموفور الشيء التام. وتناظر دلالة التمام في مصطلح الموفور دلالة التمام والطول في شعر الرأس، فالوَفْرَةُ الشعر المجتمع على الرأْس، وقيل ما سال على الأُذنين من الشعر والجمع وِفارٌ. والوَفْرَةُ الجُمَّة من الشعر إِذا بلغت الأُذنين وقد وفَرَها صاحبها، وفلان مُوَفَّرُ الشعر ، وقيل الوَفْرَةُ الشعرة إِلى شحمة الأُذن[28].

والوَقْصُ في العروض هو إِسكان الثاني من متفاعلن (ب ب — ب –) فتتحول إلى

متْفاعلن (– – ب —)، ثم تنقل إلى مستفعلن (– – ب –)، ثم تحذف السين فتتحول إلى مُتَفْعِلن (ب — ب –)، وتنقل في التقطيع إِلى مفاعلن(ب — ب –)، وقد سمي بذلك لأَنه بمنزلة الذي انْدَقّتْ عنُقه ، ووَقَصَ رأْسه غمزه من سُفْل، وتَوَقَّصَ الفرسُ عدا عَدْواً كأَنه يتزُو فيه[29]، والوَقَصُ قِصَرُ العُنُقِ كأَنَّمَا رُدَّ في جَوْفِ الصَّـــدْرِ[30].

والعقص في العروض هو تحول تفعيلة مفاعلتن (ب — ب ب –) في الوافر إلى (مفعولْ – –)، وهذا التحول مركب من عدد من الزحافات التي طرأت على التفعيلة الأصلية، وأولها إسكان اللام (مفاعلْتن ب – – –)، وتُنقل التفعيلة إلى (مفاعيلن ب – – –)، وثانيها الخرم(فاعيلن – – –)، وثالثها حذف النون (فاعيل – –)، وتنقل التفعيلة إلى (مفعول – –)، وتناظر هذه الزحافات المعقدة التي طرأت على التفعيلة العَقَصَ وهو التواءُ القَرْن على الأُذُنين إلى المؤخّر وانعطافُه، وسُمِّي أَعْقَصَ لأَنه بمنزلة التَّيْسِ الذي ذهبَ أَحدُ قَرْنَيْه مائلاً كأَنه عُقِصَ أَي عُطِفَ على التشبيه بالأَوَّل، وتَيْسٌ أَعْقَص والأُنثى عَقصاء، والعَقْصاءُ من المِعْزى التي التَوى قَرْناها على أُذُنيها من خَلْفها. والعَقْصُ أَن تأْخذ المرأَة كلَّ خُصْلة من شعرها فتَلْويها ثم تعقدها حتى يبقى فيها التواء ثم تُرْسلَها فكلُّ خُصْلة عَقِيصة. وعَقْصُ الشعر ضَفْرُه ولَيُّه على الرأْس [31]. فما حدث للتفعيلة هو التواء وانعطاف وتداخل يشبه التواء القرنين وانعطافهما، والتواء ضفائر شعر المرأة.

والعَصْبُ في بحر الوافر إِسكانُ لامِ تفعيلة مُفاعَلتن، وسمي عَصْباً لأَنه عُصِبَ أَن يَتَحَرَّكَ أَي قُبِضَ. فالعصب العروضي يفيد الشد ومنع الحركة، وهو يناظر عصب الرأس بالعصابة، فعَصَبَ رأْسَه وعَصَّبَه تَعْصيباً شَدَّه ، واسم ما شُدَّ به العِصابةُ، وتَعَصَّبَ أَي شَدَّ العِصَابةَ [32].

ويرى بعض العروضيين أن أصل تفعيلة العروض في بحر السريع هو (مفعولات)، فحذفت الواو فصارت (مفعلات)، ثم حذفت التاء فصارت (مفعلا)، ثم نقلت إلى (فاعلن)، ويطلقون على هذا التحول مصطلح المكشوف [33]. ولعل المصطلح مستمد من الكشَف في الجَبْهة، وهو إدبار ناصيتها من غير نَزَعٍ، وقيل الكَشَفُ رجوع شعر القُصّة قِبَلَ اليافوخ، والكشَفَةٌ هي دائرة في قُصاص الناصية، وربما كانت شعرات تَنْبُت صُعُداً و لم تكن دائرة فهي كشَفَةٌ [34].

3 – المصطلح العروضي وأطراف الجسم

حذف الساكن الثاني والساكن الرابع من تفعيلة (مستفعلن/ متعلن) يسمى خبلا. والأصل في الخَبْل فساد الأعضاء حتى لا يَدْري كيف يمشي فهو مُتَخَبِّل، وبَنُو فلان يُطالبون بني فلان بدماء وخَبْلٍ أي بقطع أيد وأرجل؛ فالساكن كأنه يد السبب فإذا حذف الساكنان صار الجزء كأنه قطعت يداه فبقي مضطرباً، والمُخَبَّل من الوَجَع الذي يمنعه وَجَعُه من الانبساط في المشي[35] ولا يخفى أن الاضطراب والتعثر في مشية المخبل يقترب من الاضطراب السمعي أو الإيقاعي للتفعيلة المخبولة (متعلن).

وحذف الساكن الثاني وقُطع آخر تفعيلة (مستفعلن/ متفعلْ) يسمى تخليعا، ويقع في بحر البسيط الذي ينقسم إلى تام ومجزوء ومخلع، فالتفعيلة التي يصيبها تخليع تفقد قوتهـــا وتماسكها؛ لأن النقص أصاب السبب والوتد معا ، إذ إن حذف السين نقص في السبب (مُســْ)، وحذف النون وتسكين ما قبلها (القطع) نقص في الوتد (عِلُن). ويناظر ضعف التفعيلة المخلعة ضعف الأيدي والأرجل، فالتخلُّع التفكُّك في المِشْيةِ، وتخلَّع في مَشْيه هَزَّ مَنْكِبَيْه ويديه وأَشار بهما، ورجل مُخَلَّع الأَلْيَتَيْنِ إذا كان مُنْفكَّهما، والخَلْعُ والخَلَعُ زوال المَفْصِل من اليَد أَو الرِّجل من غير بَيْنونة، وخَلَعَ أَوصالَه أَزالها، والخالع داء يأْخُذ في عُرْقوب الناقةِ، وبعير خالِعٌ لا يَقدِر أَن يَثُورَ [36].

ويطلق العروضيون على التغيرات التي تصيب التفاعيل في حشو البيت مصطلح الزحاف، ولعل التسمية مستمدة من مشية النوق حينما تزحف، فالزَّحُوفُ من النوق هي التي تَجُرُّ رجليها إذا مشت[37]، ويمكن إبراز التوافق بين المصطلح العروضي والمعنى اللغوي من خلال دلالة القرب؛ فحينما يقع زحاف في التفعيلة فإن الأسباب تزحف أي تقترب من الأوتاد ، نحو زحاف الخبن في تفعيلة فاعلن (فعلن)، ففي التفعيلة الأصلية يقع مقطع طويل قبل الوتد (–/ ب –) وبوساطة الزحاف يصبح المقطع قصيرا (ب/ ب –)، والمقطع القصير أقرب من المقطع الطويل إلى الوتد، والمقصود بالقرب هنا قصر زمن النطق ، وهكذا في زحف الناقة؛ إذن إن التقارب بين

رجلي الناقة يتحقق بالزحف، إذ إن الزَّحْف هو المَشْيُ قَلِيلاً قليلاً [38]، أما التباعد بين رجليها فلا يكون بالزحف.

والمَشْكُولُ من العَرُوض ما حُذف ثانيه وسابعُه نحو حذف أَلفَ فاعلاتن والنونَ منها، وسُمِّي بذلك لأَنه حذف من طرفه الآخِر ومن أَوّله فصار بمنزلة الدابَّة التي شُكِلَت يَدُها ورجلُها، والشِّكَال يكون في ثلاث قوائم، وقيل هو أَن تكون الثلاثُ مُطْلَقة والواحدة مُحَجَّلة، ولا يكون الشِّكَال إِلا في الرِّجْل ولا يكون في اليد[39].

وما يتصل بالأطراف الذَنَبُ في الدواب والزواحف، والبترُ من المصطلحات العروضية التي تعود مرجعيتها إلى دلالة الذنب، فالبتر هو حذف السبب من تفعيلة فعولن في بحر المتقارب فتتحول إلى فعو؛ ولأن الحذف أو القطع حدث في آخر التفعيلة فقد شبهت التفعيلة المبتورة بالذنب القصيرة، فالبَتْرُ قَطْعُ الذَّنَبِ، والمبتورةِ هي التي قطع ذنبها، والأَبْتَرُ المقطوعُ الذَّنَب من أَيّ موضع كان من جميع الدواب، والأَبْتَرُ من الحيات الذي يقال له الشيطان قصير الذنب وإِنما سمي بذلك لِقَصرِ ذَنَبه كأَنه بُتِـــرَ منـــه[40].

والحذذ في بحر الكامل تحول متفاعلن إلى (متفا ب ب –) أو إلى (متْفا – –)، ويجوز نقلهما إلى (فعِلن ب ب –) و(فعْلن – –)، وأصل الحَذُّ في اللغة القطع المستأْصل، نقول: حَذَّهُ يَحُذّه حَذّاً قطعه قطعاً سريعاً مُسْتأْصلاً. قال أَبو إِسحق سمي أَحَذَّ لأَنه قَطْعٌ سريعٌ مستأْصلٌ، وقال ابن جني سمي أَحَذَّ لأَنه لما قطع آخر الجزء (علن) قَلَّ وأَسْرَعَ انقضاؤه وفناؤه. وتصف العرب القطاة بحَذاء لقصر ذنبها وقلة ريشها، وقيل لخفتها وسرعة طيرانها، وفرس أَحَذُّ خفيف شعر الذنب، وقيل للحمارالقصير الذنب أَحذّ[41].

4 – المصطلح العروضي وضعف الجسم:

المَنْهوك من الرجز والمنْسرح ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه، وسمي بذلك لأَنه حذف منه ثلثيه فَنَهَكْتَه بالحذف أَي بالغت في إمراضه والإِجحاف به، ويناظر هذا المعنى قولنا: نَهَكَتْه الحُمَّى: جَهَدَتْه وأَضْنَتْه، ونَقَصَتْ لَحْمَه فهو مَنْهُوك رُؤِيَ أَثَر الهُزالِ عليه منها، ورجل مَنْهُوك إِذا رأَيته قد بَلَغ منه المرض [42].

والإقعاد هو حذف نون متفاعلن أو مستفعلن وتسكين اللام، فالحذف والتسكين يقعان على الوتد، وقال الخليل: إِذا كان بيت من الشِّعْر فيه زِحافٌ قيل له مُقْعَدٌ، والمُقْعَدُ من الشعر ما نَقَصَتْ من عَرُوضِه قُوَّة. فالإقعاد حذف يصيب الوتد الذي يعد مركز قوة التفعيلة، وما دام الحذف قد وقع في مركز القوة فهو ضعف في بنية التفعيلة، ويناظر هذا الضعف المرض الذي يصيب الناقة؛ فالإِقْعادُ داءٌ يأْخُذُ الإِبل والنجائب في أَوراكها، وهو شبه مَيْل العَجُزِ إِلى الأَرض. وقد أُقْعِدَ البعير فهو مُقْعَدٌ، والقَعَدُ أَن يكون بوَظِيفِ البعير تَطامُنٌ واسْتِرْخاء [43].

والمَخْزُول من الشِّعْر ضَرْب من زِحاف الكامل وهو سقوط الأَلف وسكون التاء من متفاعلن (ب ب — ب –) فتتحول إلى مُتْفعلن، وقد أصاب زحاف الخزل سببي التفعيلة بالتسكين والحذف مما أدى إلى إضعافها، ولعله يناظر الخَزَل وهو الكَسْرة في الظَّهْر، والأَخزل من الإبل الذي ذَهَب سَنامُه كله[44]. والتَّخزُّلُ والانخِزالُ مِشْيَةٌ في تَثاقُل كأَنّ الشَّوكَ شاكَ قَدَمَهُ، والأَخْزَلُ الأعرَج، والخَوْزَلَةُ: الإِعْياءُ [45].

ثانيا: المصطلح العروضي والثياب:

تشكل الثياب مرجعية لحزمة من المصطلحات العروضية، إذ إن الثياب يطرأ عليها تقصير أو تطويل أو اتساع، وكذلك التفعيلة في العروض يصيبها حذف أو نقص وهو ما يُعرف بعلل النقص، وتصيبها زيادة في مقاطعها وهو ما يُعرف بعلل الزيادة، فالمُذالُ (التذييل) هو ما زِيدَ على وتِده من آخر البيت حرفان في مجزوء بحر البسيط في تفعيلة مستفعلن (مستفعلان)، وفي الكامل في تفعيلة متفاعلن (متفاعلان)، وزيادة مقطع على

التفعيلتين هي زيادة على الأصل ، إذ إن التفعيلتين تامتان، وتناظر هذه الزيادة على الأصل زيادة في طول الثوب أو القميص التام. قال الزجاج: متفاعلان أَصله متفاعلن، فزدت حرفاً فصار ذلك الحرف بمنزلة الذَّيْل للقميص، ويقال: ذالت الجارية في مَشْيها تَذِيل ذَيْلاً إذا ماسَت وجَرَّت أَذيالها على الأَرض وتبخترت، وذَيْلُ المرأَة ما وقع على الأَرض من ثوبها من نواحيها كلها، وذَيَّل فلان ثوبه تَذييلاً إذا طوّله، ومُلاءٌ مُذَيَّلٌ طويلُ الذيل [46].

والتَّرْفيل في بحر الكامل هو زيادة سبب في تفعيلة مُتَفاعلن، فتتحول إلى (مُتَفاعِلاتُنْ)، وهو زيادة على الأصل تفضي إلى زيادة طول التفعيلة، وتناظر الزيادة في طول التفعيلة المرفلة زيادة في طول الثوب المرفل الذي يجر على الأرض، نقول: امرأَة رافلة ورَفِلة: تَجُرُّ ذيلها إذا مشت وتَمِيس في ذلك، وأَرْفَل: جرّ ذيله وتبختر، وأَرْفَلَ الرجلُ ثيابَه: إذا أَرخاها، وإزار مُرْفَلٌ مُرْخىً ، ورَفَل في ثيابه يرْفُل: إذا أَطالها وجرّها متبختراً[47]. وما دام الترفيل والتذييل زيادة على الأصل فما الفرق بينهما؟ ولماذا اختلف المصطلح العروضي؟ يكمن الفرق بين التذييل والترفيل في أن الزيادة في التذييل أقل من الزيادة في الترفيل، فتفعيلة مستفعلن (– – ب –) حينما يطرأ عليها تذييل تتحول إلى مستفعلان (– – ب – ْ)، وهذا يعني أن المقطع الطويل الأخير تحول إلى مقطع زائد الطول. أما تفعيلة متفاعلن (ب ب — ب –) حينما يطرأ عليها ترفيل تتحول إلى متفاعلاتن (ب ب — ب – –)، وهذا يعني أن مقطعا طويلا زاد على أصل التفعيلة، ويناظر هذا الفرقُ في الزيادة الفرقَ بين الثوب المذيل والثوب المرفل ؛ فطول الثوب المذيل أقل من طول الثوب المرفل ؛ فذيل الثوب المذيل يجر على الأرض دون أن يُركل بالرجل ، أما ذيل الثوب المرفل فيجر على الأرض ويمكن ركله بالرجل، فالرَّفْل جَرُّ الذيل ورَكْضُه بالرِّجْل.ولذلك قيل عن المرأة التي لا تحسن المشي في الثوب المرفل رَفْلاء أي حمقاء أو قبيحة [48]. وما دام الفرق قد تجلى بين التذييل والترفيل فيحسن بنا أن نبين مرجعية مصطلح التسبيغ على اعتبار أن المصطلحات الثلاثة (التذييل والترفيل والتسبيغ) تشترك في خاصية الزيادة على الأصل، فالتسبيغ في العروض هو زيادة في

تفعيلة فاعلاتن (فاعلاتان) في الرمل، وإذا وازنا بين التذييل والترفيل والتسبيغ في الزيادة نجد أن زيادة التذييل تقع على الوتد (مستفعلن/ مستفعلان)، كذلك زيادة الترفيل تقع على الوتد (متفاعلن/ متفاعلاتن)، أما زيادة التسبيغ فتقع على السبب الأخير، والوتد أطول من السبب، إذ إن الوتد (علن) في مستفعلن ومتفاعلن يتألف من مقطع قصير ومقطع طويل، أما السبب (تن) في فاعلاتن فيتألف من مقطع طويل. ويناظر هذا الفرقُ في الزيادة الفرقَ بين طول أو سعة الثوب المذيل والمرفل والمسبغ، فالثوب المسبغ هو الذي يصل طوله إلى الأرض دون أن يكون له ذيل طويل يجر على الأرض بخلاف الثوب المذيل الذي يجر على الأرض، وما دام الثوب المسبغ لا يجر على الأرض فلا يمكن ركله بالرجل على خلاف الثوب المرفل، ونقول: شيء سابغٌ أي كامِلٌ وافٍ، وسَبَغَ الشيءُ يَسْبُغُ سُبُوغاً طالَ إلى الأَرض واتَّسَعَ، وقد أَسْبَغَ فلان ثَوْبَه أَي أَوسَعَه، والسابِغةُ الدِّرْعُ الواسِعةُ، ورجل مُسْبِغٌ عليه دِرعٌ سابِغةٌ[49].

واستئناسا بما تقدم فإن درجات الزيادة في التفعيلة أو الثوب تكون ترفيلا وتذييـــلا وتسبيغـــا.

والخبن في العروض هو حذف الساكن الثاني، نحو حذف السين من تفعيلة مستفعلن (متفعلن)، ويفضي الخبن العروضي إلى تقصير أو تقليص مساحة التفعيلة، وهو ما يناظر تقصير أو تقليص الثوب أو القميص، نقول: خَبَنَ الثوبَ قلَّصَه بالخياطة، وخَبَنْتُ الثوبَ خَبْناً إذا رفعتَ ذُلْذُلَ الثوبِ فخِطْتَه أَرْفَعَ من موضعه كي يتقلص ويَقْصُر كما يفعل بثوب الصبي، قال أَبو إسحق: إنما سُمِّيَ مَخْبُوناً لأَنك عطَفتَ الجُزْءَ وإن شئت أَتممتَ كما أَنَّ كلَّ ما خَبَنْتَه من ثوبٍ أَمكَنَكَ إِرْسالُه وإنما سمي خَبْناً لأَن حَذْفَه مع أَوَّله [50]، كما أن العلاقة الدلالية بين خبن التفعيلة وخبن الثوب تتجاوز دلالة التقصير أو التقليص إلى الدلالة الموضعية؛ فخبن الثوب يتم من طرفه، وكذلك خبن التفعيلة يتم من أولها، أي من السبب الأول منها، وتفيدنا هذه العلاقة الموضعية للتفريق بين الخبن والطي. فالطَّيُّ في العَرُوضِ هو حَذْفُ الرابعِ من مُسْتَفْعِلُنْ ومَفْعُولاتُ فيبقى مُسْتَعِلُنْ ومَفْعُلات في البَسيطِ والرَّجَز والمنْسَرِح، وسمي هذا الجزءُ مَطْوِيّاً؛ لأَن

رابعهُ وسَطُه، فشُبِّه بالثَّوْبِ الذي يُعطَفُ من وَسَطه [51]، فالموضع هو الذي يحدد المصطلح أو المسمى؛ فإذا كان التقصير من الطرف في التفعيلة أو الثوب فهو الخبن، وإذا كان التقصير من الوسط في التفعيلة أو الثوب فهو الطي.

والكَفُّ في العَرُوض هو حذف السابع نحو حذف النون من مفاعيلن (مفاعيلُ) ومن فاعلاتن (فاعلات)، وكذلك كلُّ ما حُذف سابعه على التشبيه بكُفّة القميص التي تكون في طرف ذيله [52]. ويمكن عقد موازنة بين الخبن والكف من حيث موضع التقصير، فخبن التفعيلة يتم من طرفها، وكذلك يتم خبن الثوب من أطرافه، وكف التفعيلة يتم من نهايتها، وكذلك يتم كف الثوب من آخره.

مصطلحات أخرى:

لا تقتصر مرجعية بعض المصطلحات العروضية على منظومة واحدة كما هي الحال في منظومة أعضاء الجسم أو منظومة الثياب، إذ نجد دلالة المصطلح تتوزع على عدد من المعاني؛ فمصطلح المُراقَبَة في بحري المُضارِعِ والمُقْتَضَبِ أن تأتي تفعيلة (مفاعيلن) مَفاعِيلُ مَرَّةً ومفاعِلُنْ مرَّة أخرى، وسمي بذلك لأَن آخرَ السَّببِ وهو النُّونُ من مَفاعِيلُن لايثبت مع آخرِ السَّببِ الذي قَبْلَه وهو الياءُ في مَفاعِيلُن، أي أَن يَسْقُط أَحدهما ويَثْبُتَ الآخَرُ ولا يَسْقُطانِ مَعاً ولا يَثْبُتان معا، فكأن الحرفين (النون والياء) يراقبان بعضهما بعضا، فهما لا يجتمعان معا، ولا يحذفان معا، فإذا وُجدت النون غابت الياء، وإذا وجدت الياء غابت النون، ولعل دلالة المراقبة العروضية مستمدة من الرَّقُوب مِنَ الإِبِلِ وهي التي لا تَدْنُو إِلى الحوضِ من الزِّحامِ، وذلك لكَرَمِها وسُميت بذلك لأَنها تَرْقبُ الإِبِلَ فإِذا فَرَغْنَ مِنْ شُرْبِهنّ شَرِبَت هي. فالرقوب من الإبل لا تجتمع مع غيرها في الشرب، كذلك لا تجتمع النون والياء في تفعيلة مفاعيلن في المضارع، أو من الرَّقُوب مِنَ النِّساءِ التي تُراقِبُ بَعْلَها لِيَمُوت فَتَرِثَه[53].

وبعض المصطلحات مستمد من عنصر بيئي واحد نحو مصطلح القطف في تفعيلة عروض الوافر (مفاعلتن) هو حذف التاء والنون وإسكان اللام فتتحول التفعيلة إلى

(مفاعل ب – –) وتنقل إلى (فعولن ب – –) وليس في الشعر مقطوف غيره[54]. وسمي مقطوفاً لأنك قطفت الحرفين ومعهما حركة قبلهما فصار كالثمرة التي تقطعها فيَعْلق بها شيء من الشجرة [55]، وكأن حرفي النون والتاء ثمرة الشجرة وحركة اللام ما تعلق بالثمرة من أوراق الشجرة.

الهوامـــش:

1) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: (ت (711هـ، 1311م)، 15 م، لسان العرب. دار الفكر، بيروت، ط6، 1997. مادة: بيت

2) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني الواسطي(ت 1205 هـ/ 1790 م): تاج العروس شرح القاموس. منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1306 هـ . مادة: بيت

3) لسان العرب: صدر

4) لسان العرب: صرع

5) انظر: تاج العروس: صرع

6) القيرواني، ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. ط4، دار الجيل، 1974 ج 1، ص 173، 174

7) انظر: لسان العرب: عرض

8) (انظر: لسان العرب: سبب

9) لسان العرب: وتد

10) انظر: لسان العرب: خرم

11) انظر: لسان العرب: ثرم

12) العمدة ج 1، ص 141

13) انظر: لسان العرب: شتر

14) انظر: لسان العرب: خرب

15) انظر: العروضي، أبو الحسن أحمد بن محمد: الجامع في العروض والقوافي. تحقيق: زهير غازي زاهد وهلال ناجي، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1996 ، ص 115 – 116
16) انظر: لسان العرب: قصم
17) انظر: العروضي، أبو الحسن أحمد بن محمد: الجامع في العروض والقوافي. ص 106
18) انظر: لسان العرب: صلم
19) انظر: لسان العرب: خزم
20) انظر: العمدة. ج 1، ص 141، 143
21) انظر: لسان العرب: خزم
22) انظر: العمدة. ج 1 ، ص 143
23) انظر: تاج العروس : عضب
24) انظر: العروضي، أبو الحسن أحمد بن محمد : الجامع في العروض والقوافي. ص 115.
25) انظر: لسان العرب: عضب
26) انظر: تاج العروس : شعث
27) انظر: لسان العرب: شعث
28) انظر: لسان العرب: وفر
29) انظر: لسان العرب: وقص
30) انظر: تاج العروس: وقص
31) انظر: لسان العرب: عقص
32) انظر: لسان العرب: عصب
33) انظر: العروضي، أبو الحسن أحمد بن محمد: الجامع في العروض والقوافي. ص 142
34) انظر: لسان العرب: كشف
35) انظر: لسان العرب: خبل
36) انظر: لسان العرب: خلع
37) انظر: لسان العرب: زحف
38) تاج العروس: زحف
39) انظر: لسان العرب : شكل
40) انظر: لسان العرب: بتر

41) انظر: لسان العرب: حذذ
42) انظر: لسان العرب: نهك
43) انظر: لسان العرب: قعد
44) انظر: لسان العرب: خزل
45) انظر: تاج العروس: خزل
46) انظر: لسان العرب: ذيل
47) (انظر: لسان العرب: رفل
48) انظر: لسان العرب: رفل
49) انظر: لسان العرب: سبغ
50) (انظر: لسان العرب: خبن
51) انظر: لسان العرب: طوى
52) انظر: لسان العرب: كفف
53) انظر: لسان العرب: رقب
54) انظر العمدة. ج 1، ص 139
55) انظر: لسان العرب: قطف